

شخصيات وأفكار



د. فوزي محمد طایل

خبير الاستراتيجية العسكرية الشاملة

صاحب سيرة فكرية ثرية، ومنهج متميز، ورؤية واضحة في الفكر والاستراتيجية العسكرية، عاش لفكرته، ومات دفاعاً عنها، بعد أن رفض المقايضة أو الاختيار بين دينه ومنصبه ومهنته... إنه الدكتور لواء أركان حرب/ فوزي محمد طایل؛ فالمتتبع لأثاره (رحمه الله) لا يملكه إلا أن يقضم شفتيه حزناً وألماً على تغييب فكر هذا الرجل، ومحاولة طمس معالمه، فلم يذكره كتاب، أو يعرض لأثاره بعض من الذين يتناولون من هم أقل منه بكثير أو من هم لا ذكر لهم في عالم مشحون بالعجز والتخلف!! إن الأستاذ الدكتور فوزي طایل صاحب منهج متميز، ورؤية واضحة، يكتب في وضوح وسلاسة، كتاباته بعيدة عن التقعر والغرابية والشذوذ والالتواء والمفاهيم الغامضة والمصطلحات المضللة التي امتلأت بها حياتنا الثقافية، إنه يرفض الجزئيات والدخيل من الأفكار.

١- الميلاد والنشأة:

ولد د. فوزي طایل في القاهرة في ٢٠ إبريل ١٩٤٢م، وتخرج في الكلية الحربية سنة ١٩٦٠م، وحصل على ماجستير العلوم العسكرية من كلية القادة والأركان، ثم حصل على الدكتوراه من كلية الحقوق جامعة القاهرة سنة ١٩٨٦م في موضوع (أهداف ومجالات السلطة في الدولة الإسلامية)، كما حصل على الزمالة من كلية الدفاع الوطني بأكاديمية ناصر العسكرية العليا سنة ١٩٨٧م، وتوفي ليلة الجمعة ١٣ رمضان ١٤١٦هـ/ ٢ فبراير ١٩٩٦م.

٢- المؤهلات العلمية المدنية:

كان د. طایل محباً للعلم والتميز في تحصيل العلوم والمعارف التي تخدم تخصصه العسكري، فحصل على ليسانس حقوق جامعة القاهرة، ودبلوم



إعداد:
زغلول عبد الحليم



٥- في خدمة القرآن وبعث الأمة،

لم تكن كتاباته ورؤيته تخرج عن غايته في اتخاذ القرآن الكريم دستوراً للحياة، ومن ثم سعيه الدؤوب لبعث الأمة الإسلامية، ويصحح المفاهيم الخاطئة في الدين والعقيدة، فلم يهتم بالماديات أو الرواج الإعلامي، وإنما كان كل ما يهمه هو أن تصل أفكاره إلى أكبر عدد من المسلمين، لدرجة أنه كان يوزع معظم كتبه كهدايا ابتغاء مرضاة الله. ومن الجدير بالذكر أن د. طایل كان أول من أدخل الدائرة الإسلامية في الأكاديمية؛ لأنه كان مسؤولاً عن وضع المنهج، ورغم هذه الجهود المخلصة، فقد تم التعتيم عليها وطمسها سواء على مستوى الأكاديمية أو الجمعيات والجهات الأخرى، ولذلك يمكن القول بأنه ظلم ظلماً بيناً على المستوى الفكري والثقافي.

٦- حول النظام الإسلامي،

كانت رسالة الدكتوراه التي وضعها تدور حول أهداف ومجالات السلطة في الدولة الإسلامية، وكانت عبارة عن دراسة مقارنة بين النظام الإسلامي وكل من النظام الديمقراطي الغربي والنظام الاشتراكي الماركسي وصل من خلالها إلى أن النظام الإسلامي قائم بذاته، وله جوهره الخاص وطبيعته الخاصة التي لا بد فيها من الربط بين العقيدة الدينية والنظام السياسي وسلطة الدولة فيها تحكم بما أنزل الله.

وهذه حقيقة علمية إلهية لا يمكن أن تطمس في أي عهد من العهود حتى لو كانوا يسرون في الاتجاه المعاكس له.

٧- حول خصوصية الأمة الإسلامية وأمنها،

والمنطلق الأساسي لديه هو: أن الأمة الإسلامية لها منهجها الخاص (لا بديل له) الذي يعتمد على العقيدة، لذا تختلف اختلافاً جذرياً عما يمكن أن نطلق عليه (الحضارة الأوروبية المعاصرة) القائمة على الفكر الليبرالي والمستمد أصلاً من (اليهودية/ النصرانية)، وكلاهما انحرف عن الدين الذي ارتضاه الله لعباده، وهذا هو المنطلق الأساسي في فكر الدكتور فوزي

الدراسات العليا في القانون العام، ودبلوم آخر في الشريعة الإسلامية، كما حصل على درجة الدكتوراه في الحقوق من قسم الشريعة الإسلامية بجامعة القاهرة. ليس هذا فحسب، فقد اجتاز عدة دورات تأهيلية في اللغات الإنجليزية والفرنسية والعبرية، فضلاً عن دورة في إدارة الأعمال المتقدمة من الجامعة الأمريكية بالقاهرة.

٣- التدرج الوظيفي،

ارتقى عدة مناصب وظيفية على مدار حياته المدنية والعسكرية، فوصل إلى قائد جناح تعليمي بمعهد الإشارة، ورئيس قسم التسليح بهيئة التنظيم والإدارة، وملحق حربي بسفارة مصر بـزائير، ثم مساعداً لمدير كلية الدفاع الوطني، ومديراً لتحرير مجلة العلوم الإلكترونية بجامعة القاهرة.

كما عمل مدرساً للنظم السياسية واللغة الإنجليزية بجامعة بني سويف، ثم أستاذاً للاستراتيجية الشاملة بأكاديمية ناصر، وأستاذاً للعلوم السياسية والقانون والدولي بالكلية الحربية، فضلاً عن عضوية عدد من اللجان والجمعيات القانونية المتخصصة.

٤- لمحات إنسانية وفكرية من حياته،

كان د. فوزي طایل مسلماً بمعنى الكلمة، فكان القرآن الكريم والسنة النبوية هما مصدر المعرفة لديه في كل شيء، وهو ما اتضح في كل كتاباته حتى العسكرية منها.

كما لم يكن يميل إلى التطرف في أفكاره إنما كان يتخذ من المنهج العلمي والعقيدة الإسلامية ركيزتين أساسيتين في كل كتاباته ومؤلفاته، وكانت له رؤية مستقبلية واضحة في التنبؤ بالأحداث وقراءة ما بين السطور، وعرض وتحليل الموقف من الناحية الاستراتيجية والتاريخية والعقائدية.

ومع ذلك، لم يكن من هواة الظهور الإعلامي أو الساعين لترويج أفكارهم وأعمالهم إعلامياً. في ظل مناخ عام مضاد لكثير من أفكاره خاصة في داخل القوات المسلحة.



الأمة الإسلامية لها منهجها الخاص الذي يعتمد اعتماداً كلياً على العقيدة، ثم تختلف اختلافاً جذرياً عن الحضارة الأوروبية القائمة على الفكر الليبرالي



(الإنسان فيه).. ورغم كل هذا الوضوح فإن البعض من هواة التزييف في عالمنا المسلم لا يزالون عند رأيهم بأن الإسلام فقط داخل المسجد لتأدية الشعائر، وهذا قول يأتي على العقيدة بأكملها، فالشعائر والشرائع لا غنى لأحدهما عن الآخر، ولا يمكن أن يقوم للإسلام بناء إلا بهما معاً.

مسألة أخيرة، لتوسيع زاوية الرؤية، فقد اهتم الأستاذ الدكتور فوزي طایل بأمن الدولة الإسلامية في كتابه (آثار تفكك الاتحاد السوفييتي على أمن الأمة الإسلامية) يقول: (لئن كان التعريف المعاصر للأمن هو: "الحفاظ على منظومة القيم ضد التهديدات الداخلية والخارجية، وتوفير أحسن الظروف للتنمية الشاملة"، فإن أمن الدولة الإسلامية مرتبط بالضرورة بعقيدها وبقدرتها على الحفاظ على منظومة قيمها، وعلى منهاج حياتها والدعوة إلى سبيل الله تعالى بين الأمم الأخرى، وحماية هذه الدعوة وإعمار الأرض).

إن الأمة الكبيرة بحاجة إلى تتبع (استراتيجية ذات أهداف متوازنة) يتم السير فيها جميعاً في آن واحد،

- ١- بناء الشخصية المسلمة الواعية، الفاعلة ذات المبادرة.
- ٢- إعمار الأرض وامتلاك أسباب القوة المعنوية والمادية.
- ٣- الدعوة إلى الله في كل بقعة من بقاع الأرض.

طایل، ومن ثم نجد كتاباته كلها تعتمد على هذا المفهوم وتنظر من خلاله إلى جميع القضايا، فمشكلة فلسطين ليست عربية، إنها إسلامية، وقضايا البلقان قضايا إسلامية وأيضاً قضية كشمير وغيرها من الجروح الإسلامية فالرجل صاحب فكر متميز فعال مرن قادر على الحركة، يقدم البديل الواقعي في مواجهة الفكر الأسطوري الوثني، مرجعيته القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة، ولا صادر نقلياً للأحكام والفكر بخلافها، ومن هنا كانت تتميز كتابات الأستاذ فوزي طایل عن غيرها من الكتابات، ولكنه في الوقت ذاته يسعى - بجهد مشكور - إلى توضيح أهمية الاجتهاد الفكري في حياة الأمة، وأنه وحده القادر على تبديد الظلمة الثقافية التي تغطي العقل المسلم حالياً، وقد تلاحظ لدينا أثناء قراءة كتابه الممتع (كيف نفكر استراتيجياً) أنه يؤيد تماماً وجود مستويين للاجتهاد، أولاهما: فردي والآخر جماعي، وأهمية المستوى الاجتهادي الثاني أن يعرض لنتائج المستوى الأول بالتحليل والفحص لتلائم مع الظروف المتغيرة، وتكيف مع أحوال المجتمع، وذلك كله داخل الإطار المرجعي بشقيه: الكتاب والسنة، ومن أهم ما يستلفت النظر في كتابات الأستاذ الدكتور فوزي طایل اهتمامه البالغ بمنظومة القيم الإسلامية (العليا/ التكميلية/ التحسينية)، فهو يطلب دائماً تفعيل هذه المنظومات جميعها لتعمل عملها داخل المجتمع.

ويرى كذلك أن فكرة النظام العالمي الجديد هي فكرة ثقافية في المقام الأول لإعادة تشكيل العالم على مقتضى القيم الغربية، والطف ما نجده في كتابه (ثقافتنا في إطار النظام العالمي الجديد) ما نقله سيادته وبالنص عن د. لويس لويدي الذي قال:

(إن الإسلام ثقافة دينية سياسية مكتفية ذاتياً، لدى معتنقيه وعي بأنه البديل عن النظم العلمانية القومية.. والإسلام بما يحتويه من منظومة كاملة للمعتقدات والقيم يمنح الإسلاميين نظرة متفردة إلى الكون ومكان

أن الإعجاب بالرجل أخذ مني مأخذه، وملك حب أعماله على أقطار نفسي فأخذت أتنقل بين كتبه كيف أشاء ومتى أشاء وكل مرة أذكر نفسي أن الكتابة عن الاستراتيجية عمل عسير وصعب ولا يهضم بسهولة، فرأيت غير ذلك رأيت المفردة داخل الجملة منسجمة مع أختها، والجملة إلى جوار الجملة غاية في الاتساق والتناسق والفقرة على الجملة رقيقة مهذبة كأنك تنصت إلى محدثك وهو يهمس إليك شعراً!!! سبحانه الله العظيم.

فالكاتب عندما يتكلم عن النظام العالمي الجديد (مثلاً)... قد يكون الحديث أقرب إلى التحليل السياسي المعروف وقسوة مفرداته.. تجد نفسك أمام قلم شاعر مغموس في بحور الخبرة والرقعة العاطفية، تحرقك كلماته، ولكنها صادقة واعية تعتمد منهج خالقها في كل كلمة دون أدنى شك.

فكرة النظام العالمي الجديد

هي فكرة ثقافية في المقام الأول، فكرة لإعادة تشكيل العالم على مقتضى القيم الغربية التي يصفونها بأنها (يهودية/ نصرانية). ولقد صاغت الولايات المتحدة الأمريكية متحالفة مع أوروبا الغربية (حرباً ثقافية) بمساندة القوة المسلحة تستهدف فرض الإمبريالية وقيمها الأمريكية في أعقاب أزمة الخليج، صدر من القيادة الأمريكية عدد من المبادئ التي تحكم ما أسموه بالنظام العالمي الجديد، وكان منها:

- ١- أمريكا تتعهد بإقامة هذا النظام الجديد بوصفها المؤهلة لإدارة (المجتمع العالمي) تجاه غايته النبيلة.
- ٢- باعتبار الشرق الأوسط (كناية عن الإسلام) مصدر التهديد الرئيسي للسلام في ظل هذا النظام، فإن المنطقة ستحتل الأولوية القصوى رغم إعلان الحرب من جديد لمحو الثقافة الإسلامية من ديار المسلمين وزرع الثقافة الغربية (اليهودية/ النصرانية) بدلاً منها تحت لافتة ترفع هي (الحرية - الديمقراطية - حقوق الإنسان).

٤- الجهاد في سبيل الله حماية للعقيدة والمقدسات والثروات، ودفاعاً عن الأعراض والمستضعفين من الرجال والنساء والولدان (انظر حالنا المؤسف في أرضنا المحتلة بفلسطين وتهديد ماشية اليهود لنا)، وأهم ما يثيره فكر الأستاذ الدكتور فوزي طایل هو: أن تنفيذ الاستراتيجية المطلوبة يحتاج إلى حد أدنى من الوحدة يتمثل في التنسيق، وإلقاء الخلافات المذهبية وراء ظهورنا، فنحن نقدر على تحمل أعباء تكلفة رفاهية الجدل المذهبي العقيم.

ويعلو صوت الأستاذ الدكتور فوزي طایل قائلاً: (وإن لم نسرع إلى حركة واعية عاقلة جسورة فقد نعتبر ممن تولوا فيستبدل الله قوماً غيرنا ثم لا يكونوا أمثالنا).

من مؤلفاته:

والأستاذ الدكتور فوزي طایل نموذج للمفكر المسلم القدوة، ويتضح هذا في كل ما كتب:

- ١- أهداف ومجالات السلطة في الدولة الإسلامية (١٩٨٦م).
- ٢- النظام السياسي في إسرائيل (١٩٨٩م).
- ٣- آثار أزمة الخليج على منظومة القيم الإسلامية العليا (١٩٩٢م).
- ٤- البعد الإسلامي في أزمة الخليج.. رؤية فرنسية (مترجم) (١٩٩٢م).
- ٥- مذابح البوسنة والهرسك (اندلس جديدة في أوروبا) (١٩٩٢م).
- ٦- البوسنة والهرسك في إطار المؤامرة الغربية. (١٩٩٣م).
- ٧- الجواسيس غير الكاملين (تاريخ مجتمع الاستخبارات الإسرائيلية) (١٩٩٤م).
- ٨- ثقافتنا في إطار النظام العالمي الجديد (١٩٩٦م).
- ٩- كيف نفكر استراتيجياً (بعد الوفاة) (١٩٩٧م).

والحقيقة أن الكتابة عن اللواء أ/ح فوزي محمد طایل تحتاج إلى قلم غير هذا القلم، بيد



كان يؤمن بضرورة الاجتهاد الفكري في حياة الأمة، وأنه وحده القادر على تبديد الظلمة الثقافية التي تغطي العقل المسلم حالياً



الواجب أن تنهيا الأرض لمقدمه بأن يسودها السلام، وتعلو فيها قيم النصرانية - نجد على الجانب الآخر اليهود، وهم لا يؤمنون بالمسيح عيسى ابن مريم (عليه السلام)، يتحدثون عن مسيح آخر (ملك بني إسرائيل) لم يظهر بعد، وعليهم أن يهيئوا الأرض المقدسة كي يحكم العالم من القدس (أورشليم)، وهنا يسود الأرض السلام.

فشرط أن يسود الأرض السلام هو أن تقوم (إسرائيل الكبرى) بعاصمتها القدس لتستقبل ملكها المسيح. ومن الهيكل يحكم العالم في آخر الأيام، وعلى حين يعتقد النصارى أن اليهود هم أهل المسيح (عليه السلام)، وأنهم سيؤمنون به، بمجرد رؤيته، وقد جاء ليخلص البشرية فإن اليهود يخادعون باستخدام نفس لفظ (المسيح)، وهم يتصورون شخصاً آخر تماماً هو (ملك إسرائيل) الذي إذا لم يظهر فسوف تدمر إسرائيل مرة ثالثة، ويمزقون في الأرض وصدق الحق إذا يقول (... وإن وعدتم عدنا...) (الإسراء: ٨)

الطريق إلى مجتمع العالم

لم يعد تعظيم الغرب في خلق تواجد ملموس أو في قوة تذل الناس بخشونتها وعجرفتها، ولكنه يقوم على قوى رمزية، هيمنتها المعنوية أكثر مكرراً إلا أنها أقل قابلية لإثارة المنازعات، وهذه العوامل الجديدة للهيمنة هي: العلم، والتقنية، والاقتصاد.

لقد أصبحت التقنية وسيلة لخلق إيمان عالمي، فهي الأثر المادي والتواجد المنظور للإله الجديد: العلم، ولقد ساهم المبشرون المسيحيون

٣- وقد يتساءل البعض: ولم كل هذه البغضاء، والمسلمون لم يعلنوا عداً للغرب؟ نعيد ما قاله "لويس لويدي" ونستكمل الفقرة: "إن الإسلام ثقافة دينية سياسية مكتفية ذاتياً، لدى معتقيه وعي بأنه البديل عن النظم العلمانية القومية السائدة في منطقة (الشرق الأوسط) الآن، والإسلام بما يحتويه من منظومة كاملة للمعتقدات والقيم يمنح الإسلاميين نظرة منفردة إلى الكون ومكان الإنسان فيه، ومن خلال هذه النظرة يعمل المسلمون على سد الفرجة بين السلطة الزمنية الفعالة والشرعية الروحية بمجتمع المؤمنين (الأمة) مخاطبة كلها بخطاب سياسي واحد، وهذا يجعل الإسلام عابراً للإقليمية وثنوياً أي كانت طريقة تطبيقه، ومن ثم فهو حري أن ينتج أيديولوجية سياسية قابلة للتطبيق وبلوغ الأهداف التي قد يتفياها أي نظام للحكم. إذا القضية: حرب صليبية بكل المقاييس، كما تقول الدكتورة زينب عبد العزيز أستاذ الحضارة بجامعة الأزهر.

إن النظام العالمي الجديد هو نظام صهيوني من حيث فكرته وغاياته وأهدافه، بل وكثيرون من الأشخاص الذين يسيرونه سواء في الولايات المتحدة الأمريكية أو في الأمم المتحدة، كما لم يعد خافياً أن الصهيونية العالمية صارت بمثابة العقل المدبر وقوة الدفع المحركة لأكبر قوة مادية في العالم، وهي الولايات المتحدة الأمريكية من خلال هيمنتها على معظم وسائل الإعلام والثقافة وبيوت المال والاقتصاد، بل ومؤسسات اتخاذ القرار جميعاً، وهذه آية من آيات الله تتحقق إذ يقول (سبحانه وتعالى):

(لتجدن أشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين أشركوا) (المائدة: ٨٢)

وتقوم فكرة النظام العالمي الجديد على معتقدات راسخة في الثقافتين (اليهودية والنصرانية)، جماعها فكرة (خلاص البشرية من الخطيئة الموروثة من آدم أبي البشر)، وبينما يعتقد النصارى أن هذا لن يكون إلا (بمقدم المسيح عيسى ابن مريم عليه السلام فيخلص البشرية ويحكم الأرض ألف سنة سعيدة)، ومن

ومنظمات العفو وأطباء بلا حدود وجماعات المراقبة .. إلخ).

وتستمد هذه التنظيمات سندها الروحي من تصريح لبابا روما في ١٩٩٢/١٢/٥ جاء فيه: "يتمين على القوات المسلحة الغربية أن تتدخل من أجل توفير الغذاء والرعاية الصحية لكل إنسان على وجه الأرض دون التفات إلى الحجج الاعتبارية كالسيادة وعدم جواز التدخل في الشؤون الداخلية.. ولا يعلم إلا الله ماذا يمكن أن تتمخض عنه هذه الحرب الثقافية العالمية، والتي منها:

أ- اتخاذ إجراءات بناء الثقة، وهي تقوم على مراقبة كل النشاطات العسكرية في بلاد العالم الإسلامي بما فيها التدريب والتمركز، ويستخدمون في ذلك اصطلاحات (السموات المفتوحة والثقافة العسكرية) على أنها إجراءات لبناء ثقتهم في انصياعنا وخضوعنا ويقائنا تحت المراقبة التي يملكون وسائلها ولا نملكها!

ب- تبني فكرة (الدفاع غير المستفز) بمعنى نزع الإيجابية من القوة المسلحة، والتخلي عن فكرة أن (الهجوم خير وسيلة للدفاع) لتحل محلها فكرة (الدفاع خير وسيلة للأمن).

ج- تحويل الطاقة الدفاعية للدول - وهي سنة من سنن الخالق - إلى الداخل بدلاً من أن توجه للخارج، ووضعت لهذا (استراتيجية وعقيدة) يطلق عليها (الصراعات منخفضة المستوى) أو (الصراعات منخفضة الشدة)، ويتصورون أن طاقة الدفاع ستوجه ضد ما يطلقون عليه (الإرهاب) والاعتداءات على (البيئة) وتجارة المخدرات والصراعات الطائفية والعرقية للتعامل مع (الأزمات الإنسانية) التي تنتج عن اللجوء بأعداد كبيرة عبر الحدود ولتقديم المعونات الصحية والغذائية! وفي سبيل ذلك، ستستخدم عناصر من القوات المسلحة إما لدعم الشرطة أو للعمل ضمن قوات تحالف لتثبيت القوات المسلحة خارج أراضيها، وهي أمور بدأت تشكل ظاهرة دولية بالفعل!! ■

(المنصرون) كثيراً في نشر هذه العبادة الدنيوية ومجتمع العالم هذا لا يكون إلا على أنقاض نظام الدولة الذي هو بدوره (شر لا بد منه)، فإنها الجزاء الذي ضربه الله على الإنسان؛ بسبب خطيئته الموروثة، فإنه جهاز للقهر والسبب الرئيسي لقيام الحروب وبزواله يكون السلام!! ومن دلائل صهيونية النظام العالمي الجديد أن هذه النظرية من المفروض أن تنطبق على كل دول العالم عدا (إسرائيل) التي ستكون فيها الحكومة العالمية التي تفرض السلام على الأرض!

ولوضع هذه الأفكار موضع التنفيذ (زوال فكرة السيادة) كان ابتكار آلية (الدبلوماسية الوقائية)، والتي يتم بموجبها التدخل في الشؤون الداخلية للدول بهدف منع وقوع الأزمات وهو في الحقيقة إثارة للنزاعات العرفية والطائفية، ثم التوجه لحلها وهذه الدبلوماسية الوقائية تحتاج بطبيعة الحال إلى كم هائل من المعلومات وإلى وسائل شتى من وسائل التجسس في كل المجالات، كما أنها تحتاج إلى جهاز ضخم للإعلام والدعاية والحرب النفسية، وتحتاج إلى قوة مسلحة قادرة على سرعة التدخل لحسم النزاعات الداخلية متجاوزة سلطة الدولة.

وهو ما عبر عنه أمين عام الأمم المتحدة بـ (تفاعل الشعوب)!

ولما كانت الأمم المتحدة تفتقد الأدوات الفعالة (الاستخبارات - الإعلام - التخطيط الاستراتيجي - القوة المسلحة)، فإنها تعتمد بصفة أساسية على الولايات المتحدة الأمريكية التي تسيطر فيها الصهيونية العالمية بالفعل، وتهيمن على هذه الأدوات المذكورة على وجه التحديد. إن الشرق الأوسط هو الميدان المناسب لممارسة الدبلوماسية الوقائية، كما أعلن وزير خارجية أمريكا كوستوفر في مارس ١٩٩١ م.

كما ابتكرت آلية أخرى هي (حق التدخل) تستند إلى شعار خادع هو (الأخوة الإنسانية)، وتقوم بها جماعات وتنظيمات غير حكومية لا تعلم هويتها مثل (جماعات حقوق الإنسان